



تشرين ١ - كانون ١ ١٩٣٩

العدد السابعة والثلاثون

في سيل انجاد الكنائس

ذكرى المجمع الفلورنتيني

١٤٣٩ - ١٩٣٩

بقلم الأب فرنان دي لاترسن البوسعي

لن أشهر الأحداث في تاريخ النصرانية حدث الثامن من شباط ١٤٣٨ ،
 إذ وصل الى مياه البندقية اسطولها الذي أعده البابا اوجين الرابع ،
 لنقل وفد الروم .



وكانت اشارة البنادقة اذ ذاك تقوم بكل ما في وسعها من غنى وحفاوة في
 استقبال الوفد استقبالا منقطع النظير ، في اليوم الثاني من وصوله . وقد اوفد
 البابا ، وهو بندقى الأصل ، صديقه امبرواز تراقساري ، رئيس الكمالدول العام ،
 الى ملاقة الامبراطور . وعُظمت الاوامر بان لا يُهمل شي . في سيل انالة
 الشرقيين فكرة سامية عن الضيافة القريية .

وذلك ان الحدث المذكور لم يسبق له مثيل . كانت تُعقد المجامع العامة . وكان يأتيها الاساقفة الكثيرون ، فيتجشمون مشاق الاسفار الطويلة من اطراف الامبراطورية الى القسطنطينية ، او الى افسس ، او الى سرديك . وقد حضر الامبراطور ميشال باليولوغ بنفسه مجمع ليون الثاني سنة ١٤٢٩ ، فقدم الى البابا غريغوريوس العاشر شهادة الايمان التي اتخذها عن سلفه اكليمنضوس الرابع . ولكن لم يشهد اي مجمع من المجامع السابقة مثل هذا الحدث من الاساقفة الشرقيين يقودهم امبراطورهم وبطريركهم فيهبطون بلاد الغرب للبحث والمداولة بشأن الاتحاد . اوليس هذا حدثاً فريداً ؟ اوليس جديراً بان تُعلق عليه أعظم الآمال ؟

وبما كان يزيد في اهمية الحدث المذكور ، فيعزز الآمال المعلقة عليه ، هو ان الفريقين المتداولين كانا بأمر الحاجة الى الاتحاد ، بل كانا لا يستطيعان الاستغناء عن الاتحاد .



كان الاتحاد ، في نظر الروم ، من تلك المسائل الخطيرة ، المؤدية الى حياة الامبراطورية او الى موتها . هي سلامة المملكة تتعلق بنتيجة المناقشات . وستضح هذا القضية بجلاء ، بعد خمس عشرة سنة ، اذ يدخل محمد الثاني عاصمة الدولة فيقتضي على الامبراطورية البيزنطية . بيد ان الروم كانوا يشعرون ، منذ السنوات البعيدة ، بقرب الخطر العثماني المتقدم يوماً فيوماً مخيفاً عليهم الخناق . ذلك ان الاتراك لم يكتفوا بالسيادة في آسية الوسطى ، حيث جعلوا من مدينة بروسه عاصمة لهم ، بل اخذوا يتسربون الى البلاد البلقانية . وما ان سلطانهم مراد الأول بضع يده منذ السنة ١٣٦٠ ، على ادرنه وفيليبوبولي من تراقية ، وعلى قسم من بلغارية ومقدونية . ولا ينتهي القرن الا وقد اصيب المسيحيون بانكار نيكوبولي على نهر الدانوب ، على رغم ما اظهره من شجاعة فرسان القرنسرين الذين اسرعوا بقيادة جان سان پور تلبية لنداء سيجموند ملك هنغارية ، فلم يمكنهم الا تخليص الشرف في تلك المعركة التي كان تهوّرهم من اسباب خسارتها . وكان يحق لبازيد ان يعد نفسه سيد القسطنطينية من ذاك الحين ، لولا ما

كان من ظهور تيسورلنك في الافق الشرقي ، فاضطرار السلطان الى دخول آسية لمحاربته . ولكن لم يكن تراجع الاتراك الأهدنة مؤقتة . فبينما كان المجمع الفلورنتيني على وشك الانعقاد ، كان سراد الثاني ، حفيد بايزيد ، يستعيد المستلكات البلقانية التي كان قد احتلها جده . اما المآثر الحربية التي قام بها جان هونياد في سرية وفلاشية ، واسكندر برغ في البانية ، فلم تتمكن إلا ان تؤخر بضع سنوات ذاك الخطب الهائل الذي كان للاتحاد وحده ، لو تم ، ان يتداركه ، ويجول دونه ، بجمل امراء المسيحية في الغرب ينتفضون الى الروم في مقاومة الاتراك الممانيين .

هذه المعونة الثرية هي التي جاء يطلبها الامبراطور جان باليلوغ . وكان لابد للحصول عليها من الاتحاد الديني . فرغب فيه الامبراطور رغبة تامة ، مخلصا الارادة ، قوية الفاعلية دفعت الى ان يترك مقاليد الدولة في يد اخيه قسطنطين لأجل غير محدد ، ويأتي بنفسه فيحني امام رومة جلال يزنطية العريق ، والى ان يتابع الجهود في هذا الاتحاد طول اقامة الروم في ايطالية . ولكن هل كانت هذه الرغبة كافية التجرد ؟ هو ما قد نشك فيه اذا اعتبرنا ما يتطلبه دوام الاتحاد من ضمانة خالصة . وذلك انه لم يكن لهذا العمل الالهي المحض ، عل الاتحاد ، ان يتم تحت وطأة الخطر التركي ولا في جو المشاغل السياسية . انما تعدد دعوة حارة عميقة ترفع بها النفوس نحو الوحدة .

ولم يكن في الاوساط الرومية ، اذ ذاك ، ما يوجب بها الى هذه الدعوة . فلم يهز الروم ذاك الفرح المنفجر في الكلمات الاولى من البداة البابوية في الاتحاد ، ذاك الفرح الذي يترك السما والأرض في البهجة والحبور ، والذي عمل ، ولا شك ، على هز افضل ممثليهم في فلورنسة .

ولهذا لم يلاق اعضاء الوفد الرومي ، عند رجوعهم ، إلا استقبالا باردا من قبل الشعب الذي كان قد سئم الانتظار الطويل ، ولم ترضه تلك الوعود بمساعدة تتركه حتى الآن في حالة متقلقلة مضطربة . وكانت قد أثرت فيه اسوأ أثر دعاية الرهبان ، معاكسي الاتحاد ، بما كانوا يروجونه في مهارتهم ودعائهم من ان الاتحاد يساوم عليه في المجمع مساومة السلع .

وهكذا اصح سرقس الأفسى، من ظلّ في المجمع عدوّ الاتحاد الوحيد لا يضعف ولا يلين، شبه بطل مجاهد بل شهيد في نظر الشعب . اما الذين وقّعوا على صلح الاتحاد فان البعض منهم — وهم الاقلية — على ما يظهر — كأنطوان المرقلي، وسكولاريوس، رجعوا عن توقيعهم . وتحقّق الباكون ضعف ذاك الاتفاق الذي قاموا به في ظروف ظهرت موافقة من الوجهة البشرية . . .



ولترك التفاصيل الآن من الناحية الشرقية ، متجهين جهة الغرب دارسين حاله . هو ايضاً كان يرجو الاتحاد ويحتاج اليه . فان الكنيسة لم تكّد تخرج من الانشقاق الكبير ، المعروف بالانشقاق الغربي ، بفضل انتخاب مرتينوس الخامس، حتى تهددها خطر جديد لا يكاد يقلّ في شيء عن الخطر السابق .

وذلك انه خوفاً من الانشقاق الذي طالما قسم السلطة المسيحية العليا الى سلطتين تدعي كل منهما السيادة حتى لم يكن يتسنى دائماً لأتوم الناس نيّة ان يمتنوا السلطة الشرعية بينهما فيخضعوا للبابا الصحيح ، — خوفاً من الوقوع في مثل هذا الانشقاق، نشأت فكرة جديدة لدى الكثيرين من ذوي الآراء، ولم تلبث ان اتسع انتشارها يوماً فيوماً . وكان مرماها تعزيز صلاحية المجمع العامة وجعل سلطة المجمع فوق سلطة البابا ، في اي حال ، حتى وان حكم هذا فرداً دون موارض .

وكان من نتائج هذه الفكرة ان قرّر في كونستانسة عقد المجمع العامة ، على طريقة دورية . فمُعدّ مجمع بال سنة ١١٣١ ، بمد مجمع سيانة سنة ١١٢٣ ، تنفيذاً لهذا القرار . وعندما كانت تُرسل الدعوات لهذا المجمع الاخير ، كان اوجين الرابع ، كوندولمارو ، يرقى عرش البابوية خلفاً لمرتينوس الخامس .

وكان اوجين الرابع بندقي الأصل ، من أسرة شريفة ، دخل صغيراً رهبنة الارغطينيين في دير مار جرجس في ألتا . ثم رفاه خاله غريغوريوس الثاني عشر الى رتبة الكردينالية . فاحتفظ بما عُرف به من تقوى عميقة ، ونظام دقيق في الحياة . كما انه ظهر حبراً اعظم جديراً بالاحترام ، مدقّقاً في اعماله ، راغباً في

استشارة الخبراء الصالحين. وقد أُنْصِفَ في استقباله وفد الروم بكثير من المرونة واللباقة، ففهم عقليتهم وعرف أن يراعي رقة شعورهم السريعة التأثر فطرةً، وقد زادها قبولاً للتأثر ظروفهم الحالية وحاجتهم إلى المرونة.

سأس اوجين الرابع الكنيسة في تلك الأحوال الصعبة، وعمل جهده حتى أتم المجمع جلساته وأثر ثماراً لم تضعل جميعها في ما بعد. وذلك أنه، إن يكن الاتحاد ظهر وقتياً زائلاً، فإن أعمال المجمع وتحدداته لا تزال موجودة، فوق ما أتى من ثمار أقل وقماً حياً، وإن لم تكن أقل أهمية. منها أن المثنيين والمتناقشين عرفوا بعضهم بعضاً وأدرك كل فريق مواهب الفريق الثاني فزاد الاحترام المتبادل بين الشرق والغرب، وشعر لاهوتيو اللاتين بضرورة الرجوع إلى المصادر اليونانية، كما شعر الروم أنفسهم بضرورة إعادة النظر في كنوزهم الأصلية ودرسها درساً دقيقاً.

بيد أن الكنيسة كانت بحاجة إذ ذاك إلى حبر اعظم كلاون الكبير أو كزيفوريوس السابع؛ ولم يكن. اوجين الرابع واحداً منها.. وكان قد اساء صنأً — عن حسن قصد، دون شك — منذ عقد مجمع انتخابه، فقيد نفسه بصك يضع فيه سلطته تحت رقابة الكرادلة. هي تلك التزعة التي اشرنا إليها راميةً إلى الخطأ من السلطة البابوية تارة في سبيل تعزيز سلطة المجمع العامة، وطوراً، كما هي الحال هنا، في سبيل تعزيز سلطة الكرادلة، وليس لمجمعهم في اصل وضعه الأصفة استشارية.

هذه التزعة هي التي اخذت توحى مناقشات مجمع بال واعماله، على طريقة كانت ترداد خطراً يوماً بعد يوم على سلطة البابا.

ولا يمكنني ان اطيل البحث في اعمال هذا المجمع، الذي يشك الكثيرون في صفته المسكونية منذ بدء اعماله، بسبب تأليفه، وما كان في جلسات المناقشات فيه من غلة الاساقفة وكثرة الاكليريكيين الحاضرين من كل صفة انتدائية؛ ولا سيما بسبب الخلاف الذي حصل بينه وبين البابا.

وفي السنة ١١٣٧، عزم اوجين الرابع على نقل المجمع. ثم عين مدينة فرأري مركزاً له. فاحتج أعضاء بال في اكثريتهم، وامتنعوا عن الامتثال.

واذا بالانشقاق يذرّ قرنه من جديد . ولم تكن سلطة الحبر الاعظم ، اذ ذلك ، من الوضح بحيث لا يضلّ في بال بعض من تعدّم الكنيسة في الاوج من الكرامة والقداسة ، من امثال لويس ألمان ، رئيس اساقفة أرل ، الذي رفعه الحبر الاعظم ، بعد ذلك ، الى مصافّ الطوباويين .

واذا فان الغرب كان يتخبط في وسط ازمة مهمة هي أزمة السلطة الباباوية . وليس من شك في ان مجعنا الفلورنتيني عزّز هذه السلطة ، وان يكن هذا التعزيز الى عن طريق غير التي كان يرجوها عاقدو المجمع .

ولنكتفّر الآن بالإشارة الى أي حدّ كان الاتحاد مرغوباً فيه ، ان من جهة البابا ، وان من جهة اليونان . وأيّ مجد كان ينال الباباوية ، تجاه عصاة مجمع بال ، وقد ظفرت بجميع الاخوة المنفصلين منذ اربعمئة سنة ، في تلك الظروف التي كان انشقاق جديد يهدد فيها السلطة البابوية . وقد بدا هذا النصر الادبي يظهر جلي عندما اعلن الروم عزيمتهم على الذهاب الى فرّاري ، على رغم ما كان يقوم به مرفدو مجمع بال من جهود في دعوتهم اليه ، وما كانوا يعرضون عليهم من مزايد .

هذا ملخّص موقف الفريقين في السنة ١٤٣٨ .



وقبل ان ندخل في تاريخ المداولات الجمعية نشر بكلمة الى مصادرنا : ان المحاضر الروسية التي كان يدونها كتاب محققون (ثلاثة من الروم وثلاثة من اللاتين) قد فُقدت باجمها . ولنا في القيام مقامها ثلاث وثائق نُشرت في المجموعات الكبرى الخاصة بنشر وثائق المجمع كجموعات هردون ومانسي .
١ — الوثيقة الاولى . مذكرة رومية وضعها باليونانية احد آباء المجمع نجد فيها هذا القول : « نحن الاساقفة العشرة المينون ... » ويرجح ان واضعها دورناوس الميليبي . تُرجمت الى اللاتينية سنة ١٥٢١ ثم سنة ١٦١٢ ، بquam ميثاس كارديفيلوس .

٢ — مجموعة اعمال جمها في القرن السابع عشر ل . الاتيوس ونشرها أ. جيوستياني قيم المكتبة اللاتيكانية . وهي في اساسها مذكرة كتبها

اندري دي سانتاكروس، من اشراف الرومان ، لحاضر في المجمع . وأضيف اليها بعض الوثائق

٣ - الوثيقة الثالثة من تأليف كاهن رومي اسمه سيروبولوس كان من الدعاة الاتحاد ، وبالتالي يظهر على كثير من التحيز . وضع في هذا المؤلف كل الشكاوى ، حقيقة او موهومة ، التي كان يوجهها الروم الى دعاة الاتحاد . وقد بالغ فيها المترجم الطابع ، الانكليزي روبر كريتون .



ولنعد الى المجمع :

عند وصول الروم كان المجمع ملتصقاً منذ شهر . وقد جرت حفلة افتتاحه الرسمية في ٨ كانون الثاني ١٤٣٨ ، في كاتدرائية فراري ، ترأسها الكردينال نقولا ألبرغاتي ، موفدا البابا ، مكلفاً رسمياً مهمة المداولة بشأن الاتحاد ، وبشأن اصلاح الكنيسة ، وبشأن السلام .

ولم يصل البابا إلا في ٢٤ كانون الثاني .

اما الامبراطور فقد تأخر اياماً في البندقية . ولم يتركها إلا في ٢٨ شباط . وفي ٤ اذار دخل فراري دخولاً حافلاً بالاجبة والجلال .

ولم يبق لنا من مدينة فراري القديمة إلا شاهدان : القصر العديم الزخرف الشامخ بركنيه وبرجه ، الذي كان مقام دوق ديست ، والكاتدرائية الفخمة على عدم الوحدة في طرازها ، بواجهتها النعوية الملصقة في القرن الثالث عشر على اصل البناء الروماني .

على ان فلورنسة قفمت للمجمع ، بعد ذلك ، إطاراً اجدر وأليق . في السنة ١٤٤٠ ، كانت فلورنسة لا تزال في نهضتها البنائية ، هيبة الفراندوق قزما المديسي . كان دير القديس مرقس لم يتم بناؤه بعد . ولكن قبة برونيلشي (وقطرها يبلغ ضعف قطر البانتيون) قد اخذت تلقي ظلالها على كاتدرائية المجمع . وكانت ابواب لندريا پيزانو ، التي عدّها ميكال انج « جديرة باقفال السماء » ، ترين مكان العهد .



وكما تأخر الامبراطور فقد تأخر البطريرك ، تميّقه حوائجه التي لم يشأ التغلّي عن شي . منها . فلم يعدل الى فراري الأ في ٧ اذار .

ولم يكن من السهل ان تُعدّ القصور والمنازل لسبعائة ضيف بين اساقفة ، واسراء ، وموظفين ، وكتبه ، واتباع . وهو عدد الوفد الرومي . فصرف مرتبوا الحفلات ، ورجال الاستقبال جهوداً جتّة في تعيين المقامات ، وتوزيع المنازل على اصحابها ، كلّ حسب رتبته .

وكانت مشاكل البيروت ككل ، كما هي اليوم ، تظهر من الامور الجهورية في نظر المتقدين بها . فكادت ، غير مرّة ، ان تعود الى اخفاق المجمع .

وقد اظهر البطريرك كل اهتمام بهذه المظاهر ، منذ وصوله الى البندقية ، وهو ما يبدو من ذاك القول المنسوب اليه : « ان كان البابا اسنّ مني ، فاني اعتبره كآب . وان كان من عمري نظرت اليه كآخ . وان كان اصغر مني سنّاً ، نظرت اليه كآبن . »

اما الامبراطور فقد اعلن مرتين ، في اثنا اقامته بفراري ، انه لا يرضى بالتنازل عن شي . من عادات الجلال والاحترام المثبتة في بلاط بيزنطية ، حتى في حضرة البابا . في المرة الاولى ، في ٨ تشرين الاول ، كان يستعدّ لاولى الجلسات الحافلة ، فقرر ان يصل على جواده فيدخل راكباً ردهة الاجتماع حتى يبلغ المنبر الذي أعدّ له . وعندما اوقفه خدم البابا على الباب ، اظهر الامتناع الشديد وهدّد بترك المجمع . وفي المرة الثانية ، في ٢٧ تشرين الثاني ، لم يقيم بالسلام عليه موفدو دوق بورغونية فور وصولهم ، فغضب . ولم يعد الى جلسات المجمع الا بعد ان قام المذنبون بتعويض حافل .

على انها حوادث عرضية . فان اوجين الرابع بكياته المعروفة . تدارك كل ما يمكن ان يؤدي الى اصطدام في نظام الاستقبالات والعادات البلاطية . ولم يبق من ميزاته الخائصة والحقوق الواجبة له الا ما لم يكن بإمكانه التنازل عنه ، محافظة على مقام الكرسي الرسولي . فليس من ركوع امامه ، ولا من تقليل رجل . وهو يقف عند وصول البطريرك ويمنّاه مقبلاً اياه في الحدة ، ولا

يكلف سائر الاساقفة ألا تقبل يده ، وهي عادة دارجة عندهم ؛ وكان البابا يرفهم حالاً فيمانتهم معانقة اخوية .

وبما اقتضى درساً طويلاً طريقة ترتيب الكرسي في ردهة الجلسات . وقد افادتنا الوثائق معلومات دقيقة بهذا الشأن .

في كاتدرائية فرّاري كان الروم يختصون بالجهة اليسرى ، اي جهة الرسالة ، واللاتين بالجهة اليسرى ، جهة الانجيل .

وكان في مقدمة جهة اللاتين عرش البابا . والى جنبه ، اوطأ منه قليلاً ، عرش الامبراطور الجرمانى . وقد ظلّ خالياً لان الامبراطور سيجموند كان قد توفي في كانون الاول ١٤٣٧ .

فكان هذا الدهاء . في الترتيب كافياً لجل عرش الامبراطور البيزنطى في مقام عرش زهله الثرى . واذا بالبطريرك يحتل مركزه الى جنب امبراطوره .

وكان الكرادلة والاساقفة اللاتين يقيسون وراء البابا . وممثلو بطارقة الشرق ، مع الاساقفة الروم يجلسون وراء الامبراطور .

وقد اتبع هذا الترتيب في جميع الجلسات مع شيء من التخيير الطفيف وفقاً لمساحة الردهات المختلفة والاحوال المتباينة . من ذلك انه يظهر في بعض الجلسات ان الاعضاء كانوا يجلسون على شكل مربع يحتل عظماء الروم واللاتين جهتيه متقابلين . ويجلس الاساقفة وسائر الاعضاء على الجهتين الاخرتين .

وفي الوسط منبر الخطباء يتعاقب عليه الروم واللاتين . وقريباً منه المترجم ساكوندينو ، ينقل حالاً كل ما يقوله الخطيب الى الجهة التي لا تفهم لفته .

هذا مشهد الاجتماعات الخارجى ، وترتيب الجلسات القانونية . بيد ان الجلسات لم تحتل الا قسماً من المجمع ، القم الاوسط بالنسبة الى مدة عقده . وقد تقدم وقت الجلسات زمن انتظار طويل قامت فيه اللجان الفرعية باعداد الأعمال ؛ وتبع الجلسات زمن مداورات اشبه بما تتطلبه الشرائع في تحويلها من مجلس الى مجلس .

ولنتقدم الى معرفة هذا المجمع من جهتيه :

من جهة اللاتين

كان في المجمع ٨ كرادلة وبطريروكان لاتينيان (بطريرك اورشليم وبطريرك
سرادور) يجلسون وراء البابا .

وفي اسفل منشور الاتحاد ٦١ توقيماً لرؤساء الاساقفة والاساقفة، و٣٣ توقيماً
لرؤساء الراهبات .

ويحدد بنا ان نذكر بين الكرادلة اثنين كان لهما في اعمال المجمع نصيب
أوفر من انصبة الباقين :

الطوباوي نقولا البركاتي، كردينال الصليب المقدس في اورشليم، الذي افتتح
المجمع باسم البابا ، قبل وصول الروم .

الكردينال يوليانوس سيزاريني ، كردينال سانت ساين ، المدعو غالباً
كردينال الملاك القديس . وقد مثل دوراً مهماً في حبرية اوجين الرابع ، في
مجمع بال ، وفي الحملة الصليبية على الهرسين ، وطول المناقشات والقرارات في
فراري وفلورنسة . وكان من عادته ان يسرد المناقشات ، فيتابع بدقة كل
خطيب في عرض نظريته ، يعينه تارة ، ويخفف من غلوائه طوراً ، يدّ ثلثة ،
او يوحي بنص موافق ، او يعطي جواباً حاسماً . وعلى الجملة فهو يظهر ،
مدة المجمع ، مستشار البابا الخاص ، وقد كان جديراً بهذه الثقة .

ومن الشخصيات البارزة في المجمع ، بعد الكردينالين المذكورين ، تذكر
اندري اسقف رودس (الذي تدعوه بعض محاضرات الجلسات بالجيار) . وقد اعتاد
عرض العقائد بكثير من الاندفاع ، مهياً في الشروح وايراد النصوص ،
مطلعاً الاطلاع السيق على مؤلفات الآباء اليونان ، وعلى تاريخ المجامع ، إلا ان
خطبه الطويلة كانت تنعجز الحاضرين احياناً فيتذمرون ويضطرب الكردينال
يوليانوس الى التدخل .

ونذكر اخيراً اثنين من الآباء الدومنيكان :

اولهما جان دي موتينيرو المدعو ايضاً جان دي راغوز ، رئيس الدومنيكان
في اقليم لمباردية . وهو لاهوتي نابغ في جميع المواضيع ، بل هو خير الخطباء .

اللاتين دون شك .

وثانيهما جان دي توركيادا الذي جعل كُديناً في ما بعد . وهو غير
سنيه الذي يلوح باسمه اعداء الكنيسة كلها تكلموا عن ديوان التفيش .

من جهة الروم

اول من نذكر منهم البطريرك يوسف ، بطريرك القسطنطينية ، شخصية
تكاد تكون متضائلة ولاسيما اذا قارناها بالامبراطور . فان هذا كاد ان
يوجد في شخصيته مثل الروم الاعلى ، قيلفت الانتظار وحده ، وعلى اثره يسير
مرفدو الروم في اقوالهم واعمالهم . وان يكن قد اتصف من دقة الفهم وحسن
الدوق بما ينتمى من الحوض في مجال العقائد والتعديدات ، محولاً دائماً على ارباب
الاختصاص في هذه الشؤون ، فانه لا يتراجع عن ادارة المناقشات من جهة الروم
بل من الجهتين معاً في ذاك المجمع الذي لم يكن له من رئيس .

وهي حالة غريبة ؛ انما يهيمن عليها ، فيسبغها من التهورات المؤنفة ، خيال
قسطنطين الكبير . وقد جعلها مقبولة في فلورنسة ما فطر عليه اوجين الرابع
من كياسة وخلق سالم على خلوة من الضعف .

بيد ان البطريرك الشيخ المريض الضعيف ، المتضائل في ظل الامبراطور ،
بقي يتسّع ، في نظر مرؤوسيه ، بالخطر المتيّر اول مركز بطريركي في الشرق .
فيجتمع الاحبار الروم في غرفته عاقدين الحلقات الخاصة التي تبعت الجلسات
العمومية . وقد وجد البطريرك الشيخ ، في وضوح ايمانه البصير ، مشروع اعتراف
اتحادي بالروح القدس اجمع الاعضاء على الموافقة عليه . بيد ان الموت فاجأه
بعد ذلك بيضعة ايام ، في ١٠ حزيران ، وهو الى طاوخته ، وقد انتهى من
تدوين وصيته الاخيرة . وكان من مفعول هذه الوصية ، ومن موقف صاحبها
الراغب رغبة مجردة في الاتحاد ، ان اخذ من بقي من العاكسين يتقربون شيئاً
فشيئاً . فقام البابا ان يُقدّم لجثمان الراحل الجليل كل ما يليق ببركته البطريركي
من جلال واکرام . ثم دُفن في كنيسة سانتا ماريا نوفيلا بفلورنسة ، ولا يزال
في الكنيسة الرومانية عربون الاتحاد المقبل .

والى جنب البطريك يوسف ، كان من المنتظر ان يجلس بطاركة الاسكندرية ، وانطاكية ، واورشليم ، وقد أرسلت اليهم الدعوات منذ السنة ١٤٣٦ . على انهم رأوا من الحذر ألا يلبوا بانفسهم دعوة الامبراطور فاوغدوا بمشايخ منهم وزودوهم ، بمد الصنوبرات الجثة ، بسلطات غير محدودة . وهذه اسماؤهم :

عن الاسكندرية : انطوان اسقف هرقله ، وغريغوريوس ماماس پروستيجلوس القسطنطينية .

عن انطاكية : مرقس اوجينيكرس ميستروبوليت افسس ، وايزيدور الكيائي .

عن اورشليم : دنيسيوس السردى ، ثم بمد وفاته ، دوزيقي التومبازي . واشهر من يذكر بينهم جميعاً مرقس الافسي . ومن الصعب علينا ان نحكم بتجرد على هذا الخصم العنيد الذي لم يفت لحظة عن معاكسة الاتحاد . فلنكنف بتدوين صراحته وعدم تذبذبه . وله فيها الفخر على من بدا مضطرب العقيدة متغير الآرا . كانطوان اسقف هرقله ، الذي بعد ان وقع على وثيقة الاتحاد ، ارتد عن رأيه . وأخذ بمعاربة المجمع . اما مرقس الافسي فيظهر لنا ، على تعنته في الدروس الكتابية ، عاجزاً عن قبول ما لا يوافق تقليده الحرفي الدقيق . وكأنه ، في اجوبته المضطربة احياناً لدى اشتداد المناقشات ، لا يرى إلا ما اعتاده وحفظه ، وشب عليه .

بقي ان نخفي الى جنبه ، دعة الاتحاد المدافعين عنه وهم : بأريوت ، وايزيدور الكيائي ، ودوروثاوس اسقف متيلينه .

وكم وددت لو اتيح لي ان اتوسع في الكلام عن شخصية للها من اجذب شخصيات المجمع . واسماها ، هي شخصية بأريون ، الذي سيصح كدينال الكنيسة الرومانية ؟ فاكفي بالقول انه كان ، من جهة الروم ، في مسألة انشقاق الروح القدس خاصة ، افضل العاملين على الوحدة الداخلية والداعين الى الاتحاد . اما وجهة نظره في هذه النقطة فيظهر انها ثبتت مدة المجمع . ولكن له الفضل بان جمع ولخص براهين اللاتين في رسالة موجزة قدمها الى زملائه ولا

تزال خير ما كُتب في الموضوع .

اما ايزيدور الكيافي ، ممثل العالم السلافي في المجمع ، فلم يتمكن ، بعد رجوعه الى بلاده ، من نيل الموافقة على مقررات المجمع . فارتد الى رومة مبعث فيها متحداً مع الحبر الروماني الذي مجده بجللة الارجوان .

وهناك كثير من الاسماء يعرفها العلماء لا اللاهوتيون فقط ، من امثال سكولاريوس ، وجينيتوس ، وفليتون ، ويلسون ، وكسانثيولوس . وكلهم من كبار المتضلعين حتى صح القول انه ، وان يكن المجمع قد حرم رئاسة مدير بصير ، فقد امتاز بما مثل فيه اعضاؤه من علم ومواهب متنوعة .

☩

ولنلخص الآن مراحل تاريخه

وهي تقسم طبعاً الى حقتين : فرأري من اذار ١٤٣٨ الى كانون الثاني ١٤٣٩ — وفلورنسة كانون الثاني ١٤٣٩ الى ٦ تموز ١٤٣٩ ، وتحدث فيه لا ، ختام المؤتمر ، بل تلخيص التحديد الاحتفالي المعروف بقرار اتحاد ايروم .

ثم تابع المجمع اعماله ، بعد هذا التاريخ ، في فلورنسة اولاً مع موفدي الامن . ثم في رومة حيث دوت قرارات الاتحاد مع سائر الكنائس المنفصلة من ياقبة ، وكلدان ، وقبط ، ومنفصلي القبارصة .

ر كل حقبة من حقتي فرأري وفلورنسة تقسم هي ايضاً الى عهدين : في فرأري : عهد الانتظار ، ثم عهد الجلسات العامة . وفي فلورنسة : عهد الجلسات العامة حتى عيد الفصح ، ثم عهد المباحثات والمداولات الاخيرة .

☩

وصل الروم الى فرأري في اوائل اذار .

وكان القوم لا يزالون في انتظار آباء بال ، ووفود الامراء الذين كان قد دعاهم البابا . اما الباليون فكانوا يظهرن المناد حتى ان مجيهم ، وقد اصبح منشقاً ، احتفل في ٢٤ اذار بجلسته الثانية والثلاثين فاعلن فيها تفوقه على البابا . واما الامراء فلم يوفدوا احداً عنهم .

فباشر البابا في ١ نيسان ، افتتاح المجمع الاتحادي بجللة حافلة . وكان

البطريك مريضاً ، قُلت رسالته التي يعترف فيها بالمجمع ، ويشئى ان يشترك فيه جميع القريين ، ملئاً الحرم على كل من لا يقر به . وبعد ذلك قُلت برائة اوجين الرابع

وتلا الجلسة الافتتاحية زمن فراغ طويل . كان فيه الروم يطلبون حضور الامراء ؛ اما الامبراطور فقد انصرف الى الحديد في ممتلكات دوق دبست . وبفضل ما بذله البابا من الجهد ، توصل الى تأليف لجنة لاهوتية يشترك فيها عشرة من الروم وعشرة من اللاتين ، فيجسسون في كنيسة القرنسيكان لدرس الموضوعات المختلف عليها .

وسرعان ما اتفق الاعضاء على ان يمحسروا في اربعة مواضيع اهم نقاط الخلاف وهي : انبثاق الروح القدس — الفطير — المطهر — رئاسة الحبر الاعظم . وهي النقاط التي خاض فيها واضعو التحديدات . اما مسألة التقديس ومفعولية كلمات المسيح التي يردددها الكاهن ، فقد اكنفي فيها ، باعتراف شفهي قام به بأريون بحضور البابا والكرادلة في اليوم السابق للتحديدات .

على ان لاهوتيي الروم ، اعضاء اللجنة لم ينالوا من الامبراطور الموافقة على اجراء المناقشة الا في شهر حزيران . وفوق هذا فقد حصر هذه الموافقة بالموضوعين الآخرين . فخصّ شهر حزيران وقوز بمقيدة المطهر . واني اكنفي في صدد تلك المناقشات بذكر الخطيئين الشهيرين اللذين توليا المناقشة وهما : مرقس الأنسي و جان دي توركمادا . وقد كانت المناقشة دقيقة متتابعة البراهين من جهة اللاتين . حتى اظهروا شيئاً من الاضطراب والعوض في آراء الروم بشأن الكفارة ، كما اظهروا التمس الواهية في لاهوت الكثيرين منهم بعدم ايضاح الفرق بين الإثم والجزاء ، بين الخطيئة المغفورة بفضل الحلة ، والتكفير الواجب على اثر هذه الحلة . اما اعمال المجمع في تلك الحلقة فقد نُشرت مؤخرأ في مجموعة الآباء الشرقيين للسنيور كرافن . فظهر انها كانت بُمد ، على افضل ما يمكن ، التحديد النهائي في هذا الموضوع . وهو التحديد نفسه الذي اكنفي المجمع التريدينيني بان كرهه في جلسته الأخيرة .

وفي شهر تشرين الاول ، رضي الامبراطور بان لا تؤخر الى ما وراء هذا التاريخ ، جلسات المجمع العامة . واذا بالاعضاء يستمدون للبحث في انبثاق الروح القدس .

ولكن كيف يتناولون هذا البحث ؟

وهو مزدوج : فيه قسم يتعلق بالعقيدة ، ويتناول المشكل : هل ينبثق الروح القدس من الآب وحده ، كما يزعم فوطيوس ، ام من الآب والابن ، كما تعلم كنيّة رومة ؟

وفيه قسم يتعلّق بالنظام الكنسي وموضوعه : هل يُفرض إدخال مسألة الانبثاق في قانون الايمان على جميع المسيحيين ؟ وهل هذا الإدخال مشروع في حدّ نفسه ؟ وعلى هذا تألّف في المجمع فئتان :

فئة قوامها بناريون وسكولاريوس مع جمهور اللاتين ، كان من رأيها ان يُخاض أولاً في أساس المشكل بتناول العقيدة .

وفئة ثانية تستند الى مرقس الافسي ، وجينيسترس ، وفيترون ترمي الى البحث أولاً في شرعية الزيادة المذكورة على قانون الايمان .

وقد كان النجاح من نصيب هذه الفئة . وناميك بما تدفق حول هذا الموضوع من علوم كتابية ومجعية ، ومقدرة في الجدل والنقاش ، ومرونة في تفريع المشاكل وتنويع القياسات ، مما لا يتخيّله الموزع على حقيقته إلا اذا رجع الى تفاصيل اعمال المجمع .

هم لاهوتيون يتشاحنون . ويحدد هذا المشكل النظامي البسيط ، يثيرون شئى المواضيع المهمة : كحقوق الحبر الأعظم في مادة العقيدة ، والإضافة المشروعة وغير المشروعة ، والإضافة الجوهرية ، والعرضية الشارحة . . . وما الى ذلك من موضوع تطوّر العقائد ، وموضوع الصريح والضمني .

أضف الى ذلك . ما لا يؤمن جانبه في المناقشات من شروح وتطويلات في الطريقة التي يجب اتباعها ، ومن تضجّر السامعين وتذمّرهم الصريح احياناً بسبب اطالة بعض الخطباء ، او انحرافهم عن الموضوع ، او اهمالهم الردّ على براهين الخصم ، واذا امامك صورة لما تقود اليه المناقشات الكلامية ، ولم يضبطها ضابط

في طريق الجدل الحق .

كانت الفلسفة الكلامية قد قربت من عهد انحطاطها ، فظهرت فيها شهرة أطالة الجدل حتى الثره الخطاي ، كما بدا في اربابها كثير من التلق ببعض التعابير والصور القياسية المتداولة في الحلقات اللاهوتية جيلاً عن جيل . حتى اذا انتقل المتناشرون من الخطب الطويلة الى المجادلات القصيرة المتابعة تتابع السهام سري عن الجميع واستراح اولئك المناضلون استراحة ابطال المصارعة بعد الشرط المتعب .

وكان اللاتين يظهرون اقدر من خصومهم في هذه المناظرات القصيرة واسرع في ردّ السهام ، بينما كان الروم يفوقون اللاتين في معرفة النصوص الكتابية ، وفي استعمال الدقائق الكلامية في الشرح والتفسير . وكثيراً ما نعوا على اللاتين التجاءهم الى المجادلة . فيجيب هؤلاء بانها حكمة الحقيقة ، ولا طريقة سواها للفصل بين المشاكل .

اما اهم المناضلين في هذه المعارك الكلامية المتابعة في آخر شهور السنة ١٤٣٨ ، فكان اندريه الودسي من جهة اللاتين ، ومرتس الافسي من جهة الروم . وكان الكرديتال يوليانوس يعقد اسقف رودس ، والامبراطور يتدخل بنفسه فينتصر لاسقف افسس .

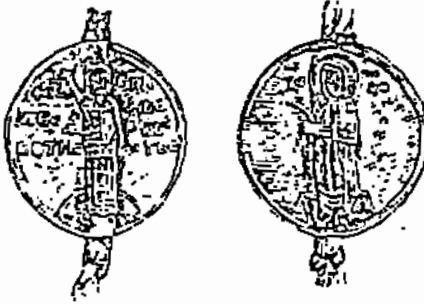
وكانت براهين الروم تدرر في غالبها حول نص في مجمع افسس (وهو المجمع المسكوني الثالث) ينص فيه ، تحت طائلة الحرم ، كل تغيير في قانون ايمان نيقيّة- فيجتهد اللاتين ان يظهروا ، مستندين الى ظروف القرار نفسه والى تاريخ المجمع التالي ، ان النص يشير الى التغير العقائدي ، لا الى تغيير تعبير او اضافته- وهكذا كان من الممكن ان يُضاف شرعياً الى قانون الايمان النيقاري تعبير : « والدة الإله » ، دون ان يعاكس نص المجمع الافسي ، الذي كوّن شهادة ايمانية ضدّ نسطوريوس .



طالت هذه المناظرات حتى ان بعض الروم اخذوا يفكرون بالرجوع الى بلادهم . وفي شهر كانون الاول ، بسبب انتشار وباء في قراري ، وبسبب



الرسم ١ - بشاريون وقد ارتدى
النسبة الكردية - ويلاحظ أنه
في عتقاً بالحبشة في بلاد المغرب



الرسم ٢ - احاط انذمي باسم الامبراطور
جان الثامن باليونان الذي سمر به قرار
الاتحاد ، بعد ان وقعه البابا والكرادلة
والامبراطور والاساقفة



الربان ٣٥٣ - الامبراطور جان الثامن بالبولوغ (١٢٢٣-١٢٢٨) -
جلست امرة بالبولوغ على عرش بيزنطية منذ السنة ١٢٦١ . وقد خلف
حان الثامن اخوه تسطنطين المادي عشر وفي زمنه وصل الترك
القسطنطينية سنة ١٢٥٣

الصعوبات المالية الظاهرة في خزانة الدولة ، رأى الحبر الاعظم ان يقترح نقل المجمع الى فلورنسة . وكان غراندوقها قد عرض عليه شروطاً موافقة . وفي ٢ كانون الثاني ، كان الامبراطور في جلسة عند البطريرك ، فطلب الى الاساقفة ان يدعوا لاقتراح البابا بنقل المجمع ، ويلتوا طلب اللاتين مباشرة البحث في النقطة العقيدية من انبثاق الروح القدس . فأيد بتاريون طلب الامبراطور ، وقبل الجمهور بالاقتراحين .



في فلورنسة بدأت حقبة جديدة من تاريخ المجمع زاهها افضل بكثير مما تقدم سواء أكان بقيمة الخطباء أم بأهمية الموضوعات المطروقة . وقد خلف اسقف رودس ، في الكلام عن اللاتين ، جان دي راغوز ، ذاك الذي تدعوه الوثائق الرئيس العام . اما من جهة الروم فظل مرقس الافسي حامل لواء خطابتهم . واما الموضوع المطروح فهو انبثاق الروح القدس . وهو موضوع يتطلب بحثاً برأسه كي نفيه حقه .

انما نكتفي بالإشارة الى أهمية هذه العقيدة في حياتنا المسيحية ، لانها تتعلق بالسر الاساسي في ايماننا ، وهو سر الثالوث الاقدس . ومن ثم فلا يتهورن احد من المسيحيين الى القول : لنترك للاهوتيين امر المشاحة في هذه المسألة ، ولننحي انجيلنا في حياتنا المسيحية !

وكيف تمكن الحياة المسيحية اذا فصلت عن اساسها ، وهو حياة المسيح نفسه فينا ، بروح قدسه مبدأ النعم المفاضة في نفوسنا . ولأن يكون هذا ان لم يكن الروح القدس نفسه روح الابن متخذاً من الابن كل قدرته المبررة وكل كيانه ، لانه ينبثق من الابن كما ينبثق من الآب .

وهو سر الوحدة الالهية في الثالوث الاقدس . لان الوحدة نفسها يعرضها الحلل اذا ما اخذنا بالتمييز بين اقانيهما ، ألا التمييز الانبثاقي المحض . واننا لتعرض لهذا التمييز الخطير ، اذا جنحنا الى القول بان الروح القدس لا ينبثق من الابن .

وعليه فان مجمع فلورنسة اتم عمل مجمي نيقية والقسطنطينية في اقرار عقيدة الثالوث الاقدس .

اخذ جان دي راغوز الدومنيكي نصوص الآباء اليونان فعرضها وشرحها في ترتيب واضح ، من القديس ابيغانيوس ، الى القديس اثناسيوس ، الى القديس غريغوريوس النيصي ، ميثاقاً انهم ، وان لم يصرحوا علناً بالاتباق « من الابن » ، فقد علموا ما يقابل هذا القول ، باتبائهم ان الروح القدس يتناول حقاً كيانه من الابن ، كما يتناول الابن كيانه من الاب (وان كانت الطريقة مختلفة)

وكان ان دخل نص منقول في مجموعة النصوص الايوية . هو نص مأخوذ من الكتاب الخامس من مؤلف القديس باسيليوس في الرد على اوفونيوس . ومن المعروف انه ليس ثابتاً من آثار القديس باسيليوس ضد هذا البدع الا الثلاثة الكتب الاولى . وعليه فلم يتردد احد من الفريقين في رفض النص . على ان حاجة جديدة نشأت بشأن نص آخر لا شك في صحة نسبه ، وهو مأخوذ من الكتاب الثالث للدولت نفسه . عرض اللاتين هذا النص مستندين اليه ، فردّه الروم بحجة انه لا يوجد في كثير من المخطوطات اليونانية للكتاب المذكور . فلم يصعب على الخطيب اللاتيني اظهار وجود النص في عدة مخطوطات يونانية قديمة جيه بها من القسطنطينية نفسها . وهو فوق ذلك ، بما يتطلبه المعنى الاجمالي في المقطع .

ولكن الحصوم لم يقنعوا ، اول الامر ، فثارت عاصفة من المشاحنات سُع فيها كثير من النعمت تتردد بين الفريقين ، ولا تبعد كثيراً عن صفات التزوير والتلفيق . ويُذكر بهذه المناسبة ، ان احد الخدم أرسل ليحضر مخطوطة الى الجلسة . فدفعه الفضول في الطريق الى التفتيش في الموضع المذكور . ولما رأى النص المزعج لمعلمه ، اراد ان يخلصه منه ، واذا به يقبل على حك السطر المطلوب . على انه في سرعته حك الصفحة المقابلة . ولشد ما كان استغرابه وحيرته ، عندما ادرك خطاه ، وهو يستمع في الجلسة فيرى الخطيب يستند الى تلك الحجة التي توهم انه محامها وازالها من الوجود .

ويجب الإقرار ، وفقاً لشكوى الامبراطور ، ان تلك المناشآت العامة لم

تؤدّر الى نتيجة مقبولة ، إن من جهة البحث في العقيدة ، وإن من جهة الجدل في شرعية الاضافة .

يبد أن الامبراطور استفاد من ايراد نصّ للقدس مكسيموس ، فتذرّع به ووقف تلك المناقشات .

اما النصّ فيقول : « اذا علّم الابوان اللاتينيان (اغوستينوس وامبروسيرس) ان الروح القدس منبثق من الابن ، فهما لا يدعيان ان الابن مبدأ الروح القدس الاول . فليس ألا مبدأ أولي واحد للابن وللروح القدس . »
سمع الامبراطور هذا النصّ ، فصاح : ليقرّ اللاتين بصحة هذه الرسالة وتوقع معهم وثيقة الاتفاق .

والحق انه كان في هذا النصّ نور جديد .
وكانت احدى صعوبات اليرنان في قبول النصّ اللاتيني ناتجة من كلمة مبدأ (principe) التي كانوا ينسبونها دائماً بمعنى المبدأ الاول ، وهو الينبرع الاصيل او المصدر الاول لكل حياة دينية . وهذا الينبرع واحد أحد هو الآب وهناك صعوبة ثانية تنتج من ان الروم كانوا ينسبون الى اللاتين القول بان الآب والابن مبدأان متساويان وبالتالي متعاونان في بثّ الروح القدس وكان من فضل ذاك النصّ انه وقرّ للتناقشين حلاً يمكن التغام فيه والاتفاق عليه ، وتصيراً يوضح تلك العقيدة المطلوب تحديدها .

فبدأت المفاوضات بشأن اقتراح الامبراطور . وكان عيد الفصح قريباً .
فاوقفت الجلسات العامة . وبدأت حقبة المجمع الاخيرة ، حقبة المداولات بين وفد الروم ، والبابا يعاونه مستشاروه .

وكان اول ما بُتّ بشأنه عقيدة انبثاق الروح القدس .
وفي الاجتماع الاول الذي عقده اعضاء الروم في جلسة خاصة ، ظهر من تقرير بأثريين ، أو رسالته الجامعة التي اشترنا اليها ، ان جميع المشاحنات السابقة لم تذهب عبثاً . لقد اثار الحق هذه النفس القويمة ، فلحقت على افضل ما يمكن من الدقة والوضوح ، في سبيل اثارة اخوانها ، جميع المشاكل والمناقشات والنتائج .
بقي الاتفاق على وضع النصّ . وهو ما قام به الفريقان بثّودة وبط .

ذلك ان اللاهوتيين اللاتين كانوا شديدي العقظة والحذر ، والبابا نفسه ، الذي كان يبدو على كثير من الناحيل في شتى الامور ، لم يكن ليتساهل بشيء في ما يخص العقائد ، ولا ليتقدم خطوة الا بمحاورة اللاهوتيين . واخيراً حصل الاتفاق . وكان الزوم قد حاولوا ان يضعوا الى جنب تعبير اللاتين — « الروح القدس المنبثق من الآب والابن » — وبطريقة مساوية له تعبيرهم هم — « الروح للقدس المنبثق من الآب بالابن » . فتلطف اللاتين في انصاف هذه الفكرة حذراً من ان يظهر دور الابن الفعّال ، المعادل لدور الاب ، على شيء من الضعف . فاكثفني بان يضاف الى تعبير اللاتين ، بشكل التصريح ، ان التعبير الذي استعمله الآباء والمعلمون اليونان لا يرمي الا الى ما يرمي اليه التعبير اللاتيني ، ويجب ان يفهم فيه دور الابن فعّالاً .



نال الامبراطور هذه النتيجة فاعتبر عمله مشتهراً . وكان قلقاً على عاصمته ، والترك يهددونها دائماً ، فتفقد صبره ، وحذر من شتاء ثانٍ يقضي في ايطالية . فلم يبق له من هم الا التفكير بالعودة . حتى انه رفض قبول الملحق الذي ارسله اليه البابا ليعرضه على المناقشة وينتهي به موضوع الاتحاد في النقاط الثلاث الباقية وهي : المطهر ، والفطير ، ورئاسة البابا .

وقد كان الامر غريباً من قبل الامبراطور الذي كثيراً ما دفع اساقفته الى التججيل في اقرار الاتحاد معها كلف الامر . والذي اوقف مرقس الافسي وانطوان الميرقلي على طريق العودة ، واقام على ابواب المدينة حراساً يمنعون خروج الروم قبل انتهاء المجمع . هذا الامبراطور يهدد اليوم بتنقض كل شيء . ويستعد للسفر العاجل على مرتين .

في هذه الايام المصيبة ظهر الجلد الروماني في اوجين الرابع وصبره السموح باجلى مظهر ، لقد ساءه رفض الامبراطور لخلاصته ، فلم يتمكن من البقاء . ولكنه اعطى الكردينال يوليانوس كل السلطات ليعيد المياه الى مجاريها . واذا باللاتين يقولون على رغبات الروم في اساليب المناقشة .

وكان البابا تارة يستقبلهم في مقامه الخاص ، وطوراً يذهب بنفسه الى مقام

البطريرك المريض فيرثس الجلوسه عنده .

وقد تجنّب جان دي راغوز في محاضرتيه على رئاسة البابا ، ولا سيما حتّه في دعاء المجمع ، وقبول جميع القضايا المتأنفة اليه ، كل تعبير يُشتم منه رغبة الردّ او المناقشة . وكذلك كان موقف جان تروكمادا في محاضرتيه على الفطير وكللت التقديس .

اما البحث في النصوص الدامية الى المناقشة فكان يجري في جان خاصة قليلة عدد الاعضاء . وهذه لجنة مؤلفة من اربعة لاتين واربعة روم تشغل وحدها مدة ثلاث ساعات ، بينما كان البابا يستقبل في مقامه بدير الدومنيكان رؤساء الروم فيحادثهم بمختلف الشؤون ، ويدير عليهم المرطبات واطباق الحلوى وأخيراً في ٢٧ حزيران ألفت لجنة عهد اليها بوضع نصّ الاتفاق ، الذي سيقراً ويوقع في التاسع والعشرين من الشهر نفسه ، عيد الرسولين بطرس وبولس .

ولكنّ المشاكل لم تنته بعد . ومنذ الكلمات الاولى حصل خلاف جديد . يريد الروم ان يضعوا مع اسم البابا اسم الامبراطور . وبعد مداولات قليلة رضي البابا بهذا الشكل في مطلع الوثيقة :

« ارجين الاسقف ، عبد عبيد الله ، تحليداً للذكرى ، بواقفة ولدنا الحبيب بالمسيح ، جان پاليولوج امبراطور الروم الشير . »

ووقع وحده فوق الجميع على هذا الشكل :

« انا اوجين ، اسقف الكنيسة الكاثوليكية ، وقّعت محدداً . »

وبعد تواقيع الكرادلة ، وقع الامبراطور بهذا الشكل :

« انا جان پاليولوج ، المؤمن بالمسيح ، ملك وامبراطور الروم ، وقّعت . »

وهكذا تمّ الاتحاد . ولم يبق خارجاً عنه الا مرقس الافسي فلم يوقع الوثيقة .



تقدّم لنا ان ذكرنا باختصار ما كان من مصير هذا الاتحاد ، على اثر رجوع الاساقفة . وكان هؤلاء قد استفادوا باحتكاكهم باللاتين ، اكثر من سنة ، على الدرس والمجادل والمناقشة ، تفاهماً متبادلاً قادهم الى اعتبار بعضهم بعضاً . اما

الغائبون فجبروا على ميول الطبيعة البشرية في مثل هذه الاحوال، فقالوا ان الحاضرين اسأؤوا صنأاً. ونفروا من مقررات المجمع. وقد يكون زاد في نفورهم طول مدته، ولأنهم لم يشتركوا في اعماله، وهذا من مظاهر الانانية البشرية كذلك .

فرفض المجمع البطارقة الثلاثة في الاسكندرية وانطاكية واروشليم. اما الامبراطور فظل أميناً على توقيعه، وعمل على انتخاب خلف للبطريرك يوسف، أحد دعاة الاتحاد المرونيين، متروفانس دي سيزيك. ولكن بعد وفاة الامبراطور، كانت فكرة الاتحاد قد مُنيت بكثير من الإعراض والمماكسة، حتى ان اخاه وخليفته الامبراطور قسطنطين، لم يجرؤ على نشر قرار الاتحاد، على الرغم ما كان عليه الروم من حاجة الى معونة الفريين .

☩

بيد ان وثيقة الاتحاد التي وقعها الامبراطور ومثلوا السلطات الرومية، لم تنقض قط رسياً . اما ذاك المجمع القسطنطيني الذي يزعم بعض اعداء الاتحاد بانه نقض عمل فلورنسة، فلا وجود له الا في مخيلة هؤلاء الاعداء . وها ان افضل مؤرخي الارثوذكس، من امثال باسيليوس، لا يترددون في نفي وجوده . واذا فالتصُّ باقر في مضمونه العقائدي وثيقة الاتحاد الحقيقية .

فلتعمل الرغبات المخلصة المترايدة يوماً عن يوم، والدروس الرامية الى التفاهم المتبادل، ولاسيا الصلوات المشتركة المستلهمة من المبدأ المسيحي الواحد، على اعادة هذا الاتحاد اعادة نهائية .

هذا رجاؤنا جميعاً !